

LEGAL CONCEPTS, THEIR CHARACTERISTICS AND TEACHING METHODS

Muhammed AKAZIM¹

Dr., Al Akhawayn University, Morocco

Abstract

This study aims to identify the characteristics of legal concepts in terms of the foundations of their construction and methods of downloading them in classroom practice in teaching and evaluation, in proportion to the specificity of these concepts, which are distinguished from other concepts by their abstract characteristics and their metaphysical nature at times. To address this problem represented in: "What are the advantages and characteristics of the legal concept, and what are the problems of downloading it in classroom practice, and what are the proposed solutions to overcome it"?

This research was organized in two sections, the first of which was devoted to clarifying the reality of concepts, the second to their characteristics, and the third to teaching methods and the proposed methodology for evaluating them, in order to bring them closer to learners, and to overcome the problems that teachers face when presenting these concepts to their learners, whether at the methodological or didactic level.

In order to address the research problem, the study started from the following hypothesis:
- The legal concept has its own nature that distinguishes it from the rest of the other legal concepts, and therefore its teaching requires its own methodology because it is an abstract and intangible concept, and therefore teachers of Islamic education must have knowledge of these legal concepts, in order to have a clear vision of the reality of the legal concept and its characteristics. And the requirements of teaching it, just as the textbooks should reveal legal concepts in a dialectical way that takes into account the level of growth of the learners' knowledge, through educational and educational activities directed to them, and in effective pedagogical ways.

In conclusion, the research presents a set of proposals and recommendations in order to overcome the imbalances and solve the problems that prevent building doctrinal concepts on sound foundations, and downloading them properly in classroom practice.

Key words: Concepts, Legitimacy, Characteristics, Teaching.

 <http://dx.doi.org/10.47832/2717-8293.24.23>

¹  Akzim.mohamed@gmail.com

المفاهيم الشرعية خصائصها وطرق تدريسها

محمد أقزيم

د، جامعة القرويين، المغرب

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على خصائص المفاهيم الشرعية من حيث أسس بنائها وطرق تنزيلها في الممارسة الصفية تديراً وتقويماً، بما يتناسب مع خصوصية هذه المفاهيم التي تتميز عن باقي المفاهيم الأخرى بخاصيتها التجريدية وطبيعتها الغيبية في بعض الأحيان.

ولمعالجة هذا الإشكال المتمثل في: "ما هي مميزات وخصائص المفهوم الشرعي، وما هي إشكالات تنزيهه في الممارسة الصفية، وما هي الحلول المقترحة لتجاوزها؟"

فقد انتظم هذا البحث في مبحثين اثنين، خصص الأول منها لبيان حقيقة المفاهيم، والثاني لخصائصها، والثالث لطرق تدريسها، والمنهجية المقترحة لتقويمها، بغية تقريبها للمتعلمين، وتجاوز الإشكالات التي يواجهها المدرسون عند تقديمهم لهذه المفاهيم لمتعلميهم، سواء على المستوى المنهجي أو الديدكتيكي.

ولمعالجة إشكال البحث، انطلقت الدراسة من الفرضية الآتية:

- المفهوم الشرعي له طبيعته الخاصة التي تميزه عن باقي المفاهيم الشرعية الأخرى، وبالتالي يقتضي تديسه منهجية خاصة به لكونه مفهوماً مجرداً وغير محسوس، وبالتالي يجب على المدرسين لمادة التربية الإسلامية أن يكون لهم إلمام بهذه المفاهيم الشرعية، قصد امتلاك رؤية واضحة عن حقيقة المفهوم الشرعي وخصائصه ومقتضيات تديسه، كما أن الكتب المدرسية ينبغي أن تنزل المفاهيم الشرعية تنزيلاً ديدكتيكياً يراعي مستوى نمو معارف المتعلمين وذلك من خلال الأنشطة التعليمية التعلمية الموجهة لهم، وبطرق بيداغوجية فعالة؛

وختاماً يقدم البحث مجموعة من المقترحات والتوصيات بغية تجاوز الاختلالات وحل الإشكالات التي تحول دون بناء المفاهيم العقدية على أسس سليمة، وتنزيلها تنزيلاً سليماً في الممارسة الصفية.

الكلمات المفتاحية: المفاهيم الشرعية، خصائص المفاهيم الشرعية، التدريس.

مقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد الورى رسولنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.
وبعد،

يعتبر تدريس المفاهيم وتنميتها أحد مستويات البناء المعرفي للعلم، إذ تُبنى عليها باقي مستويات هذا البناء من مبادئ وتعميمات وقوانين ونظريات، كما تعد التنمية المفاهيمية واحدة من أهم نواتج التعلم التي يمكن من خلالها تنظيم المعرفة العلمية لدى الطلبة بصورة تضيي عليها المعنى،

ونظراً لأهمية المفاهيم فقد حرص الكثير من التربويين والباحثين على اقتراح استراتيجيات ونماذج وطرائق وأساليب تدريسية مختلفة من شأنها أن تسهل عملية تعلم التربية الإسلامية بشكل أفضل من الطرائق والأساليب المتبعة في تدريسها.

وقد أجمع الباحثون في مجال التربية والديداكتيك على الأهمية الكبرى للتدريس بالمفاهيم، فهي تؤدي دوراً مهماً في إبراز أهمية المادة الدراسية للمتعلم لما لها من دور في ربط الحقائق المعرفية بروابط قوية من خلال إدراك المتعلم لصفات وخصائص المفهوم، فهي تبقى في الذهن أكثر لارتباطها بمعناها، كما تسمح بالتنظيم والربط بين مجموعات الأشياء والأحداث في كليات يسهل فهمها وبقاؤها أكثر من الجزئيات المنفصلة، وهذا يساعد في التعرف إلى الأشياء الموجودة بها، ويقلل من الحاجة إلى إعادة التعلم عند مواجهة مواقف جديدة.

وتزداد الحاجة أكثر لدراسة هذه المفاهيم كلما تعلق الأمر بالمفاهيم الشرعية باعتبارها مجالاً محورياً في المعرفة الشرعية، لما لها من تأثير كبير على استيعاب المتعلمين للأحكام الشرعية التي تتضمنها هذه المفاهيم.

هذه المفاهيم الشرعية تمتح عناصرها ومكوناتها من من حقول معرفية متنوعة، تضم مجالات مختلفة، تشكل في مجموعها البناء النسقي الشرعي، منها ما يرتبط بالجانب الوجداني الداخلي للمسلم، ومنها ما يتعلق بجانب تعديل سلوكه وضبط تصرفاته، ومنها ما يرتبط بتنظيم علاقاته بين خالقه، أو بين المسلم وأخيه المسلم، أو بينه وبين نفسه، بغرض التعبد والتقرب إلى الله تعالى.

هذه المفاهيم تتفاعل فيما بينها لتشكل نسقاً فكرياً ومعرفياً يعبر عن هوية الأمة وتماسك نسقها المعرفي. وعليه فإن ((تحليل بنية أي حضارة يرتكز على ثلاثة عناصر في غالب الأمر هي: المفاهيم، والعلاقات التي تؤلف من المفاهيم حقلاً، والعلاقات التي تشكل من الحقول نسقاً، ولو تحينا جانباً البحث في هذه العلاقات، لوجدنا أن المفاهيم تأتي من البناء الفكري لأى نسق معرفي عند حجر الأساس)) (صلاح، 1997، 10) فالزواج في الثقافة الإسلامية يختلف عن الزواج في الثقافة الغربية، إذ يقصد به في الأولى: عقد بين رجل وامرأة...، في حين يتسع المدلول في الثقافة الغربية ليشمل أيضاً عقداً بين رجل ورجل، والتوحيد في الفكر الإسلامي ليس هو التوحيد في الفكر المسيحي، فعند المسلمين يدل على أن الله واحد أحد، فرد صمد، أما عند المسيحيين فالتوحيد عندهم يتكون من ثلاثة أقانيم الأب والابن والروح القدس. ولذلك احتدم الصراع بين الثقافتين بسبب حرب المصطلحات والمفاهيم التي تنتمي لمنظومتين مختلفتين في المرجعيات التي تستمد منها رؤيتها وإيديولوجياتها المختلفة.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز الخصائص العامة للمفاهيم الشرعية، وكيفية تدريسها وتقريب مضامينها للمتعلمين، لما لهذه المفاهيم من حمولات فكرية وثقافية، ولما للمفاهيم بصفة عامة من أهمية بالغة في ضبط المعنى وتحديد المقصود.

أما إشكالية الدراسة فتتجلى في: "ما هي مميزات وخصائص المفهوم الشرعي، وكيف يتم بناؤه وتدرسه، وما هي إشكالات تنزيهه في الممارسة الصفية، وما هي طرق تقويمه"؟

وتندرج أهمية هذه الدراسة في إبراز هذه الخصائص ومنهجية تدريسها وتقويمها.

وبهدف الإجابة على الإشكال المطروح اعتمدت على المنهج الاستقرائي والتحليلي للمفاهيم الشرعية قصد الوقوف على خصائصها، وكيف يتم تدريسها وتقويمها.

وفي هذا الصدد قمت بطرح الفرضية الآتية: هل المفاهيم الشرعية تتميز عن باقي المفاهيم الأخرى من حيث الخصائص وطرق التدريس أم لا؟.

أما حدود الدراسة فقد تم حصرها في المفاهيم الشرعية دون غيرها من المفاهيم الأخرى، كاللغوية والعلمية، وأما طرق التدريس فقد تم التركيز فيها على الطرق البيداغوجية الحديثة في التدريس والتقويم.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، أهمها: أن المفاهيم الشرعية لها من الخصائص ما يميزها عن باقي المفاهيم، وهذا الأمر يستدعي تدريسها بمنهجية تتماشى مع تلك الخصائص.

أما خطة البحث وتصميمه فقد انتظمت في ثلاثة مباحث، وخاتمة

تناولت في المبحث الأول مقدمات وممهّدات، وفي المبحث الثاني تحدثت عن خصائص المفاهيم الشرعية وأهمية تدريسها، أما المبحث الثالث والأخير فقد خصصته لطرق تدريس وتقويم المفاهيم الشرعية. فأقول وبالله التوفيق.

المبحث الأول: مقاربات وتحديات مفاهيمية

المطلب الأول: تعريف المفهوم

أ- لغة:

إن لفظ المفهوم في المعاجم اللغوية مشتق من الجذر الثلاثي "فهم". ((وفهم الشيء أيضاً حُسن تصور معناه، وجودة استعداد الذهن للاستنباط)) (إبراهيم ، 2004 ، 704/2) كما نجد فهمه فهماً، أي عِلْمه وعَرَفه بالقلب، وأحسن تصوره"، وبالتالي فإن معرفة الشيء لا تحصل عن طريق الحواس فقط؛ بل تحصل عن طريق القلب أيضاً. ويعرف ابن منظور الفهم بالمعرفة بالشيء. (ابن منظور، 1970).

فالمفهوم تدور مادته اللغوية حول جودة الاستعداد الذهني للاستنباط وحسن تصور الأمور، وحسن تصويرها للغير، والتفاهم المتبادل، وحسن تصور المعنى.

من مجموع هذه التحديدات يتبين أن المفهوم في اللغة يحيل على معان العلم والتعقل والمعرفة القلبية، ويجيد الذهن تصوره واستنباطه، هذا المعنى يتسم بالثبات والاستمرار؛ لأن اسم المفعول عند النحويين والبلاغيين، على الاستمرار. وقد يختلط المفهوم بغيره من المفاهيم القريبة والمعاني المتاخمة له كالتعريف والمعنى والحد والمصطلح، غير أن المفهوم له صبغة علمية وبيداغوجية ويحيل على ميكانيزمات وآليات للاكتساب والبناء، أكثر منها مجرد مقاربات لغوية وابستيمولوجية.

ب- اصطلاحاً

أما من الناحية الاصطلاحية فإن تعريف المفهوم يختلف حسب الحقل المعرفي والتخصص الذي يُداول فيه، فلا تكاد تعثر على تعريف موحد للمفهوم سواء في مجال علوم التربية، أو علم النفس، أو في سائر الحقول العلمية التي تبحث في المعرفة، فقد تعددت تعريفاته تبعاً لتعدد مجالات البحث والدراسة؛ وتبعاً للاختلاف القائم حول أصل المعرفة وطبيعتها". ولأن ما يهمنا في هذا البحث هو المجال التربوي فقد اخترنا من تلك التعريفات ما يأتي:

- دولاندشير: ((تمثيل رمزي يتشكل من الخصائص المشتركة بين مجموعة من الأشياء العينية)). (الفارابي ، 1994 ، 47)
- المفهوم: ((فكرة عامة ومجردة تنسب إلى فئة أو صنف من الأشياء ذات خصائص مشتركة، ويسمح بتنظيم المعرفة)) (أيت إعة، 2009 ، 125)

- المفهوم: ((عملية عقلية يقوم بها المتعلم لاستنتاج العلاقات التي يمكن أن توجد بين مجموعة من المثيرات، ويتم بناؤه على أساس التمييز بين تلك المثيرات)) (الديب، 1986 ، 95)

- المفهوم: ((فصائل من الأشياء والأحداث المرتبطة مع بعضها البعض في خاصية أو عدة خصائص مجتمعة، رغم اختلافها في بعض التفاصيل)) (الضبيع، 2011 ، 20)

من خلال التأمل في هذه التعاريف يبدو الاختلاف واضحاً بينها، حيث لجأ بعضها إلى وصف المفهوم من حيث كونه تمثيلاً رمزياً أو فكرة ممكنة التطبيق، أو بناء عقلياً، أو تجريباً ذهنياً، أو صورة ذهنية، وفي هذا تعبير عن الاتجاه النفسي في تعريف المفهوم، في حين انصرفت بعض هذه التعاريف إلى وصف الطبيعة المنطقية للمفهوم، من خلال تركيزها على السمات والخصائص المميزة للصنف أو لفئة من الأشياء عن غيرها.

كما أننا نجد أن بعض هذه التعريفات يحيل على المجال البيداغوجي، حيث ((يرتبط تعلم مفهوم معين بقدره المتعلم على تشخيص وتحديد معايير المفاهيم، أي التعرف على الموضوع باعتباره عنصراً من عناصر مفهوم أو فئة، من خلال عمليات التمييز والتصنيف)) (الفارابي، 1994، 47)

ت- إجرائياً

تأسيساً على ما سبق يمكن استثمار الأبعاد اللغوية والنفسية والمنطقية وكذا البيداغوجية في صياغة تعريف إجرائي وجامع للمفهوم على النحو التالي: "المفهوم هو تصور عقلي أو صورة ذهنية عن صنف من الأشياء أو المعلومات أو الأفكار الموسومة بصفات مشتركة، يؤدي اكتسابه إلى تأهيل المتعلم، كي يقوم بنشاط تصنيفي يجمع فيه الأفكار أو الأشياء إلى فئات، تبعا لخصائصها المشتركة، رغم وجود اختلافات غير أساسية فيما بينها، وهذا النشاط الذي يقوم به المتعلم من أجل التصنيف والتفهيء هو الذي يؤدي إلى نمو المفاهيم، لدرجة أن المتعلم يستطيع تصنيف أشياء/ أفكار/ معلومات جديدة ومختلفة تصنيفاً صحيحاً، وهذا هو التعلم وفق المقاربة المفاهيمية".

ث- تعريف المفهوم الشرعي:

عُرف المفهوم الشرعي بتعاريف مختلفة، نذكر منها ما يأتي:

- 1- عرفه السويدي (١٩٨٨ ، 25) بأنه ((تجريدات في مجال التربية الإسلامية تدل على فئة من المعلومات ويرمز إليها بلفظ أو عبارة ، ويمكن أن يكون لها دلالة سلوكية مثل إيمان ، وحدانية ، أسرة، تطفيف الكيل والميزان، زكاة ، جهاد))
- 2- وعرف عبد الجواد المفهوم في التربية الإسلامية (1999 ، 33) بأنه : ((تصور عقلي مجرد يعطي اسماً أو لفظاً ، ليدل على موضوع له صلة بالدين ، ويتم تكوينه عن طريق تجميع الخصائص المشتركة لأفراد هذا الموضوع))
- 3- . وعرفه مجد رياض عزيزة (1988) بأنه:

4- وعرفه ماجد زكي بقوله: ((تلك المعاني التصورية ذات المدلولات المحددة والمستنبطة من القرآن الكريم والسنة المطهرة والتي تشكل اللبنة الأساسية للحقول المعرفية المتنوعة وفق رؤية العقيدة الإسلامية)) (الجلاد، د.ت، 351)

ج- التعريف الإجرائي للمفهوم الشرعي: من خلال ما سبق يمكن تعريف المفهوم بأنه: " كلمة أو مصطلح له دلالة لفظية يمكن أن يكون له دلالة سلوكية يدل على معنى له صلة بالدين الإسلامي، مرتبط بالعقيدة أو العبادات أو المعاملات أو الأخلاق والآداب الإسلامية أو السيرة النبوية وذلك كما يتصوره المتعلم عقلياً وينفعل به وجدانياً تبعاً للمرحلة العمرية التي يقع فيها.

(المفاهيم الشرعية المتضمنة في مقررات العلوم الشرعية، ص: 24)

المطلب الثاني: أنواع المفاهيم

تتعدد تصنيفات المفاهيم وذلك تبعاً لتعدد الزوايا التي يَنْظُر من خلالها الباحثون للمفهوم، كل بحسب تخصصه، وبحسب المجالات التي يُدرَس داخلها المفهوم، ويمكن استعراض هذه التصنيفات على الشكل الآتي:

- 1- تصنيف برونر: صنف المفاهيم على أساس العلاقات بين مكونات المفهوم على النحو الآتي:
 - المفهوم الرابط: هو مجموعة من الخواص المشتركة بين مجموعة من الأشياء أو الكائنات مثل (الطيور، الحيوانات / الغيبيات، أركان الإيمان....)
 - المفهوم الفاصل: هو مجموعة من الخواص المختلفة بين الأشياء أو الكائنات مثل الحيوانات، فهناك حيوانات أليفة وأخرى مفترسة، وهناك طيور تأكل الحبوب، وطيور تأكل الأسماك، وطيور جارحة تأكل اللحوم.
 - المفهوم العلائقي: هو مفهوم يعبر عن العلاقة بين خاصيتين أو أكثر من خصائص المفهوم، مثال الدجاج له أكثر من خاصية: يؤكل لحمه - يبيض ويؤكل البيض - البط له خاصيتين (يعوم - يطير).
 - فالطفل الذي تتاح له الفرصة لرؤية الأشياء المتنوعة والكائنات الحية المختلفة كالطيور والحيوانات والنباتات، والتواجد مع أشخاص كثيرين ومختلفين، هو الطفل القادر على المقارنة بين الأشياء ولديه الاستعداد للتوصل إلى الصفات المشتركة بين الكائنات وأيضا الصفات المختلفة بينهم وإدراك العلاقات بين هذه الكائنات)) (بطرس، 2004، 66)

- 2- تصنيف الخوالدة: ، أما الخوالدة فإنه يصنف المفاهيم باعتبارها مفاهيم مجردة أو محسوسة كما يأتي:
 - مفاهيم مجردة أو معنوية: وهي التي تدرك بالقوى العقلية ويعبر عنها بالكلمات والرموز مثل الحرية والعدالة، الحق، الإيمان.
 - مفاهيم معرفية: وهي المفاهيم التي يدركها الإنسان بمعرفته في حياته المعيشة مثل الفواكه والخضر والحيوانات والأصدقاء)) (سحر محمود ، 2011)

- 3- تصنيف فيجوتسكي: غير أن فيجوتسكي ميز بين نوعين من المفاهيم:
 - المفاهيم التلقائية أو الحياتية: وهي المفاهيم التي تنمو نتيجة الاحتكاك اليومي للفرد بمواقف الحياة وتفاعله مع الظروف المحيطة به.
 - المفاهيم العلمية: في تلك المفاهيم التي تنمو نتيجة لتهيئة مواقف تعليمية سواء كان ذلك من جانب الفرد ذاته أو من مصدر خارجي.

وهكذا يرى أن المفاهيم إما أن تكون مفاهيم تلقائية تُكتسب بصورة طبيعية دون تدخّل فرد آخر مثل المعلم، ويحدث هذا الاكتساب من خلال احتكاك الفرد بالبيئة المحيطة والخبرات الحسية المباشرة، ومن بين هذه المفاهيم نجد اللون والعدد... أو عبارة عن مفاهيم علمية تكتسب في مواقف تعليمية، أو من خلال المراجع العلمية المتنوعة، ولا يمكن اكتسابها بمجرد احتكاك الفرد ببيئته. (بطرس، 2004، 66)

4- تصنيف وجيه المرسي أبو لبن: (المرسي، 2017) الذي صنف المفاهيم إلى خمسة أصناف، على الشكل الآتي:

- المفاهيم المجمعّة: (الرابطة): Conjunctive Concepts

وهي المفاهيم التي تتضمن مجموعة من العناصر المشتركة بين مجموعات من المواقف أو الأشياء، ويجمع المفهوم بين حقيقتين وفي هذه الحالة يكون على الفرد أن يصل بين الأجزاء التي يتكون منها المفهوم.

- المفاهيم الفاصلة: (المفرقة): Desconjunctive Concepts

وهي عبارة عن مجموعة من المواقف أو الأشياء أو الأحداث تختلف في خواصها وطبيعتها، ويتضمن هذا النوع من المفاهيم مجموعة من الخصائص المتغيرة من موقف لآخر ولا نحتاج فيه كل الخصائص الخاصة بالمفهوم وإنما تكون موجودة بدرجات مختلفة.

- المفاهيم العلاقية: Relational Concepts

وهي المفاهيم التي تتضمن وجود علاقات بين المواقف والأشياء والأحداث، ويذهب هذا النوع من المفاهيم إلى أبعد من مجرد تقسيم الأشياء أو الأحداث أو الظواهر وتصنيفها والتعرف على العناصر المشتركة فيما بينها، وإنما يقرر بعض أنواع العلاقات بين مفهومين أو أكثر.

- مفاهيم محسوسة: Empirical Concepts

وهذه المفاهيم يمكن ملاحظتها ولمسها عن طريق الحواس وهي أسهل المفاهيم اكتساباً.

- مفاهيم مجردة أو نظرية: Theoretical Concepts

وهذه المفاهيم لا يمكن ملاحظتها أو لمسها بالحواس ويتم تعلمها باستخدام التركيبات اللغوية المختلفة مثل التحديد وسياق الجمل والأمثلة الوصفية والترادفات.

أما من حيث مصدر وطريقة تكوين المفاهيم، فيمكن تقسيمها إلى نوعين اثنين هما:

- المفاهيم المحسوسة: تُستقى مباشرة من البيئة من خلال الحواس، وعادة ما تكون مفاهيم وصفية.

- المفاهيم المجردة: لا يُستمدّ هذا النوع من المفاهيم مباشرة بالملاحظة والخبرة الحسية، إذ أنّها مُعقدة تحتاج إلى نموّ عقلي مناسب وخبرات حسية مُسبقة (بترس، 2004، 66)

رغم تنوع هذه التقسيمات يمكننا تبني تقسيمين رئيسيين، وهما الأكثر شيوعاً في الدراسات المتناولة لاكتساب أو تدريس المفاهيم وهما: المفاهيم التلقائية مقابل العلمية، والمفاهيم الحسية مقابل المجردة.

المبحث الثاني: خصائص المفاهيم الشرعية وأهمية تدريسها

المفاهيم الشرعية تتميز عن غيرها من المفاهيم الأخرى؛ لاستنادها إلى الوحي بشقيه -الكتاب والسنة-، من جهة وطبيعتها الغيبية من جهة أخرى، وهذا التمايز يساعد على ضبط المفهوم ومعرفة المعنى المقصود؛ لأن: ((الألفاظ للمعاني أزمة وعليها أدلة وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة)) (ابن جني، 1، 313)

المطلب الأول: خصائص المفاهيم الشرعية

تتميز المفاهيم الشرعية عن غيرها من المفاهيم بمجموعة من المميزات، نذكر منها ما يأتي:

- **ربانية المصدر:** إن أهم ما يميز المفاهيم الشرعية عن غيرها، كونها تعتمد على الوحي بشقيه -القرآن والسنة- وبالتالي فإن مصدرها من الله عز وجل، وقد دل على ذلك ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم، مدحه ﷺ للقرون الثلاثة الأولى وهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، ومن استقراء العلماء لمنهج أصحاب هذه القرون الثلاث نجدهم قد اعتمدوا في بيان أحكام الشريعة على الوحي، فلم يأخذوها إلا من الكتاب والسنة، فيأخذون من القرآن أصل العقيدة والدليل الذي بنيت عليه، ويمنعون العقل من الجموح إلى ما يبعد عن الوحي من الطرق المبتدعة، ويقيدونه بالتفكير في آيات الله أو في إيضاح العقيدة من خلال كتاب الله وسنة رسوله الكريم. ولكونها ربانية المصدر فإنها لا تتبدل ولا تتغير في دلالتها، فتمتاز بالثبات المطلق الذي يجعل أي تدخل في تبديل معناها تحريفًا للكلمة عن مواضعه، قال ابن تيمية رحمه الله: ((فما أطلقه الله من الأسماء، وعلق به الأحكام من الأمر والنهي والتحليل والتحريم لم يكن لأحد أن يقيدته إلا بدلالة من الله ورسوله ﷺ)) (تيمية، 1995، 19، 236)

- ارتباطها بالعقيدة الإسلامية.

إن ارتباط المفاهيم بعقيدة من العقائد حقيقة عامة فوراء كل مفهوم عقيدة وفلسفة تغذيه وتوجهه، وتزوده بتصورها عن الكون والحياة ومهمة الإنسان فيهما، فينخرط مع باقي المفاهيم في تجسيده هذه التصورات وتحويلها إلى أنظمة قائمة في الواقع، ولهذا فما يُدعى للمفاهيم الغربية من موضوعية وُبعد عن الدين ليس أكثر من استبدال عقائد بأخرى.

وارتباط المفاهيم الإسلامية بالعقيدة الإسلامية هو ثمرة اعتمادها على مصادر الإسلام وثمره الصلة الوثيقة بين الدين وكل مجالات الحياة في الإسلام. وطبيعة العقيدة الإسلامية لا تسمح بالتشكيك في وجود هذا الارتباط، لأنها سر شمولية، الإسلام، وسر استيعابه لكل حركة تصدر من المسلم دينية ودنيوية، ما دامت في الاتجاه الصحيح ومنبثقة عن نية صالحة، فهذه العقيدة هي التي تحول العامل في مصنعه إلى عابد، والساعي على عياله إلى مجاهد وهي التي تجعل من يتمتع بالطيبات من الحلال، وهو شاكر لله على نعمه مأجورا في الآخرة، لأنها الإطار الذي يحيط كل مجالات الحياة بنظرة الإسلام إلى الكون وإلى الإنسان وإلى الدنيا والآخرة، وهي الرابط الذي يصل كل مجال بغيره من النواحي، ويخلق بينها التكامل والانسجام اللازم لوجود مجتمع إسلامي صالح، فالإسلام حينما أتى بتوجيهاته وتعاليمه الاقتصادية لم يأت بها منعزلة عن غيرها من التعاليم بل مزجها مع باقي الأحكام وجعلها جزءاً من كل متجانس. وهذه سنة الإسلام في بناء المجتمع وتنظيم شؤونه، يؤلف في هذا البناء بين أصول خلقية وأصول اقتصادية وأصول سياسية، ولا يجعلها وحدات

منعزلة عن بعضها، بل يدمجها بحيث تتكون منها مجموعة متماسكة تصنع من هذا البناء كتلة حية تتفاعل معها هذه الأصول تفاعلاً وثيقاً سعياً إلى الوفاء بحاجات البشر.

- **كمالها وشمولها:** بحيث لا يمكن الزيادة فيها أو النقصان منها، قال تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن أضطر في مخصصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ [المائدة، الآية: 4].
والمفاهيم الشرعية تستمد من منظومة شاملة تؤطر حياة الإنسان كلها في أبعادها الزمنية المختلفة، وتبني التصور الصحيح لحقيقته ووظيفته الاستخلافية ومصيره في الحياة الأخرى، كما أنها تخاطب جميع جوانب شخصيته الروحية والعقلية والوجدانية وأيضاً السلوكية من خلال مقتضياتها العملية.

- **خاصية الاتساق و الانتظام:** المنظومة المفاهيمية في الإسلام متسقة غير متناقضة ولا مضطربة، فلا يهدم بعضها بعضاً، بل يكمل بعضها بعضاً لتكون الرؤية الإسلامية شاملة؛ فالمفاهيم الشرعية يؤسس بعضها للبعض الآخر ويفضي إليه، وتُنسج فيما بينها علاقات عمودية وأفقية، وبذلك يصعب استيعاب هذه المفاهيم دون إدراك هذه العلاقات، فمثلاً لا يمكن التمكن من حقيقة اليوم الآخر إلا بإدراك المفاهيم المرتبطة به من بعث وحشر وبرزخ وصراف وميزان وجنة ونار... كما أن هذه المفاهيم تُستمد من عقيدة شاملة منسجمة تخاطب الروح والعقل والوجدان، لذا يستحب استحضار هذا البعد النسقي حين التدريس بإبراز هذه العلاقة بين المفاهيم الشرعية، وفي هذا الصدد يمكن الاستعانة بالخطاطات المفاهيمية التي تسهم في إبراز العلاقات فيما بينها وتحدد المبادئ الشرعية العامة التي تؤطرها، وتيسر التعلم.

- **انضباطها للشريعة الإسلامية:** لا يمكن للمفاهيم الشرعية أن تتأسس على مصادر الإسلام وأن ترتبط بعقيدته دون أن تخضع لأحكامه وشريعته، ولا يمكن لها أن تبقى محايدة لا تهتم بالقيم، بل تنخرط مع الشريعة والعقيدة والأخلاق في تجسيد الإسلام وتحويل مبادئه وتعاليمه إلى نظام قائم؛ فبالفهم الخاضعة لأحكام الشريعة تتأسس سياسة عادلة، وحياة ملؤها المودة والاحترام واقتصاداً قوي يفي بحاجات الناس جميعاً، ويمنعهم من استغلال بعضهم لبعض، وبها يسود التأزر والتعاون والصدق والأمانة والعفة والرخاء، فبالشريعة تُجلب المصالح وبغياها تنتشر كل المفسدات، قال الإمام ابن القيم: ((إن الشريعة مبناه وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها، ومصالح كلها وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل . فالبعد عن الشريعة يُحرم المفاهيم من مزايا وكنوز ومصالح هذه الشريعة، ويسقطها في مهاوي العصيان وآفات الحرام، فتهدم بدل أن تبنى وتُفسد بدل أن تُصلح، فكم عانت البشرية من مفسدات الاحتكام إلى المفاهيم المبنية على الهوى والبعيدة عن الشريعة، وكم جربت البشرية من الأفكار والمفاهيم والنظريات فلم تجن إلا المحن من فقر واستغلال وظلم، نظراً لعجز هذه المفاهيم عن ضبط تصرفات الناس وسلوكهم وتنظيم حياتهم على النحو الذي ينسجم مع فطرة الله التي خلقهم عليها.

إن انضباط المفاهيم بالشريعة هو الكفيل بإنقاذ المسلمين مما يعانونه من تخلف وتبعية، وبتخليصهم مما يتعرضون له من نهب لثرواتهم واستنزاف لطاقتهم المادية والبشرية، فلا تنمية ولا تقدم ولا سعادة بعيداً عن الشريعة الإسلامية. والجدير بالذكر أن الأحكام الشرعية المنصوص عليها محدودة، ومسائل وقضايا الحياة في مختلف الميادين متجددة ومتطورة مما يفرض على علماء كل عصر الاجتهاد سواء في إدراك علل الأحكام المنصوص عليها، وفهم القضايا المستجدة لإلحاق النظير بنظيره في الحكم أو في دراسة هذه الأحكام واستقراءها لمعرفة مقاصد الشرع فيها ومراتب هذه المقاصد وأنواع المصالح المقصودة للإسلام منها. وقد توصل علماء الأصول إلى أن مقصود الشرع من الخلق حفظ المصالح الضرورية والحاجية والتحسينية، وتوصل علماء العصر إلى أن مقاصد الشريعة في المعاملات خمسة أمور: رواجها ووضوحها وحفظها وثباتها والعدل فيها)) (ابن عاشور، 1985، 175)

- **خاصية التجريد:** بعض المفاهيم الشرعية وخاصة المتعلقة منها بالجانب العقدي تتميز بكونها مفاهيم مجردة يصعب تجسيدها للمتعلم، لذا يجب أن يتوسل المدرس بالسلوكيات التي تترجم وجود هذه المفاهيم (آيت إعزة، 2009، 125)، فهذه المفاهيم المجردة متضمنة للجانب العملي ومقتضية له، فلا يوجد ركن من أركان الإيمان إلا وله موجبات عملية. ولهذا ربط القرآن الكريم بين الإيمان (العقيدة) والعمل الصالح ربطاً جازماً لا تنفك عراه، لكن الإيمان وإن كان يمثل جزء من الدين إلا أنه الجزء الخفي؛ لأن محله هو القلب، وأعمال القلوب خفية، وهو مثل روح الدين التي تتحكم في الأعمال وتوجهه.

ولعل في كلام الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؕ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحجرات: الآية: 15]، ما يؤكد هذا الفهم لهذه الخاصية، حيث يقول: ((إنما المؤمنون أيها القوم الذين صدقوا الله ورسوله، ثم لم يرتابوا ... وألزم نفسه طاعة الله وطاعة رسوله، والعمل بما وجب عليه من فرائض الله بغير شك منه في وجوب ذلك عليه)) (كرومي ، 2014، 30)

- **ربط الاعتقاد بالعمل:** لأن مهمة الأنبياء لم تقتصر على مجرد بيان العقيدة وتبليغها، إذ إن المعرفة الذهنية مجردة لا تصنع شيئاً مهما كانت قوية وباهرة؛ بل لا بد أن تنتقل من الذهن إلى القلب، فتصبح وجداناً حياً يملؤه، ثم تفيض آثار ذلك الوجدان على الجوارح، فيتحول إلى سلوك عملي ينبض بروح التوحيد في واقع الحياة، فيصير سلوك المسلم هو التطبيق العملي لشريعة الإسلام؛ منطلقاً فيه من عقيدته وتوحيده، ((إذ لا يمكن تحقيق الانضباط الشرعي في السلوك والأخلاق، إلا باستحضار الأثر المترتب عليه في الآخرة ثواباً أو عقاباً، وهذا هو منهج القرآن الكريم في الأمر والنهي؛ لذلك تجد القرآن الكريم يربط بين الجذور العقدية والتطبيقات الشرعية)) (أبو شعرة، 2015)

- **المفاهيم الإسلامية عملية وواقعية،** أو حركية. وذلك باعتبار أنها نزلت إلى إنسان مكلف مستخلف مدعو إلى أن يتمثل هذه المفاهيم حسب جهده وطاقته، وأن يبني بها حضارته وأن يعمر بها الكون، وأن يحقق بها استخلافه ووراثته. فهي مطلقة كونية لكنها أيضاً عملية واقعية ودينامية حركية توجه وتسدد عمل الفرد والجماعة على حد سواء، وتُصلح

من حال الفرد والجماعة على حد سواء. وهذا أصل ينفي عنها كل مظاهر الصورية والتجريد والمثالية غير القابلة للإنجاز، وطقوسية التبرك والتنزيه المعطل.

المطلب الثاني: أهمية التدريس بالمفاهيم

تعد المفاهيم أدوات الفكر ومفاتيح العلم وأهم مكونات المعرفة، "وهي تشكل القاعدة الأساس للتعليم الأكثر تقدماً كتعلم المبادئ وتعلم حل المشكلات. إنها مرتبة وسط بين الحقائق والوقائع والتفاصيل الكثيرة من جهة، وبين النظريات المعقدة من جهة أخرى. فمن خلال المفاهيم يتم تجميع الحقائق والجزئيات في نسق موحد يعطي للمعرفة مغزى وللتعلم معنى. فيظهر في المفاهيم مبدأ التنظيم والترابط والتكامل المعرفي، ويختفي التجزيء المرهق للفكر والمنفر من التعلم، وتنمى ملكة التفكير لاعتنائها بالعلاقات والروابط، وقيامها على التصنيف والتفسير والاستنتاج والتعميم والتنبؤ.

إن المفاهيم حلقة أساسية في البنية المعرفية للمادة العلمية لا يمكن تجاوزها، وإلا كانت الفجوة التي تعوق تحقيق التعلم الحقيقي. ولطالما تم انتقاد المدرسة من كونها تخرج أفراداً لهم زاد أكاديمي مهم ولكن ليس لهم أدوات التعامل مع المشكلات الحياتية، وهذا الخلل مرتبط باختيارات المدرسة على مستوى المحتوى المقدم، إذ غالباً ما يتم التركيز على شحن ذهن المتعلم بالحقائق والقواعد والنظريات وإغفال المفاهيم. ((إن المهم في التعلم امتلاك المتعلم أدوات الاشتغال وتمكنه من البات التفكير والمعالجة ما يؤهله للتعامل بنجاعة مع المشكلات التي تواجهه دراسي أو حياتي، ومن ثم امتداد أثر التعلم لمواقف جديدة والانتقال بين المفاهيم من خلال علاقات منطقية تجعل للتعلم معنى، وفيه اقتحام للبنية المفاهيمية للمتعملم بنوع من التدافع بين القديم والجديد يؤدي إلى رسوخ الأصلح وتثبيته. "فالمفاهيم ليست مجرد كلمات ولكنها عناوين تعبر عن الأفكار التي يتضمنها المفهوم)) (منصور، 2014)

ولا شك أن تعليم المفاهيم في المراحل التعليمية المختلفة، نكتسي أهمية بالغة في إدراك حقائق الأشياء ومعرفة خصائصها وطبيعتها ومن ثم الحكم عليها، ولذلك كان من الضروري التأكيد على أهمية التدريس بالمفاهيم لتحقيق الأهداف التي ينبغي الوصول إليها من خلال تدريس مختلف المواد، وفي سائر المستويات التعليمية بما فيها مادة التربية الإسلامية. ولتحقيق هذه الغاية وجب على واضعي المناهج التعليمية ومؤلفي الكتب المدرسية تحديد المفاهيم الأساسية المراد تعلمها وبنائها بشكل يتناسب مع سن المتعلم ومراحل العمرية، وأن يطوروا المناهج والطرق المناسبة لتدريسها وتعلمها.

وقد اعتبر ماجد زكي ((أن المفاهيم تشكل لبنة أساسية لعناصر النظام المعرفي المتمثلة في الحقائق، والمبادئ، والتعميمات، والاتجاهات والقيم، كما تتجلى أهمية المفاهيم في تنمية التفكير لدى المتعلمين لأنها تُكون لديهم البنى المعرفية اللازمة للتعلم الأكثر تقدماً من مثل تعلم المبادئ وحل المشكلات)) (الجلاد، د.ت، 351)

ويرى بعض الباحثين أن لتعلم المفاهيم فوائد عديدة يمكن إجمالها في الآتي:

- إن المفاهيم تساعد كلا من المعلم والمتعلم على فهم عميق لطبيعة العلم من حيث أن العلم مادة وطريقة.
- إنها تساعد المتعلم على التذكر الجيد لما يتعلمه، وبالتالي انتقال أثر التعلم للمواقف التعليمية الجديدة. (جزاع،

(1986)

وتأخذ عملية تعلم المفاهيم مكاناً رئيسياً في العملية التعليمية، باعتبار أن تعلم المفاهيم يسهل عملية التعلم، حيث لا يمكن لعملية التعلم المدرسي أن تحقق نجاحاً إلا إذا كان لدى المتعلم ثروة من هذه المفاهيم. ويمكن أن نوجز أهمية تعلم المفاهيم في النقاط الآتية:

1- يعد تعلم المفاهيم من الأهداف الرئيسة لنمو الطفل وتطوره في جميع الجوانب وخاصة الجانب العقلي والمعرفي، حيث يمارس الطفل أثناء اكتسابه للمفاهيم مهارات وعمليات عقلية منها: التنظيم، والربط، والتمييز، والتعميم، وتحديد الخصائص المشتركة، وغير ذلك من مهارات يحتاج إليها الإنسان في حياته اليومية، بحيث تصبح تلك المفاهيم وما يرتبط بها من معارف وحقائق وسيلة لتحقيق الأهداف المنشودة من التربية.

2- تساعد المفاهيم على تنظيم الخبرة العقلية، لأن المفاهيم الرئيسة تصنف عدداً كبيراً من الأشياء والأحداث والمواقف التي تجمع بينها خصائص مشتركة في مجموعات أو فئات، تساعد على التقليل من تعقد وتداخل هذه الأحداث والمواقف.

3- تساعد المفاهيم على التقليل من ضرورة إعادة التعلم، إذ أنها أكثر ثباتاً، وأقل عرضة للتغيير من المعلومات القائمة على مجموعة من الحقائق المفككة، كما أنها تربط بين الحقائق المنفصلة والتفصيلات الجزئية، وتوضح العلاقات القائمة بينها. (باوزير، 2018، 48-50)

ويتفق الباحثون في مجال التربية والديداكتيك على الأهمية الكبرى للتدريس بالمفاهيم عوض التركيز على الحقائق الجزئية، و تتمثل أهميته في:

- يزود المتعلم بوسيلة يستطيع بها أن يساير النمو في المعرفة؛
- أكثر احتمالاً لاستخدامها في الحياة العامة في مواقف متعددة؛
- يساعده على تذكر ما تعلمه وذلك لأن:

- عدد المفاهيم أقل من الحقائق؛

- يرى التلميذ العلاقات بين الحقائق في شكل مفهوم فيرى لها معنى أشمل؛

- يساعد على فهم عميق لطبيعة العلم (القدرة على التفسير و التنبؤ)؛ (أحمد صالح، 2011، 38)

ويرى أحمد جودت سعيد أن التدريس بالمفاهيم:

- ينظم المعلومات ويزود المتعلم ببناء معرفي منظم يستخدمه في تمييز أمثلة جديدة وتفسير مواقف عديدة؛ وبذلك

يزيل الهوة الواسعة التي تكمن بين مستويات المعرفة العليا والبسيطة؛ مما يجعل المادة الدراسية أكثر فهماً وإدراكاً؛

- يساهم في زيادة فاعلية التعلم وانتقال أثره للمواقف والظروف الجديدة؛

- يساعد على فهم بنية المادة ويجعلها أكثر سهولة للتعلم والاستيعاب؛

- يساهم في تنظيم هيكل المادة (خرائط المفاهيم) مما يساعد التلميذ على تذكرها بسرعة (جودت ، 1988 ، 91).

ومما سبق يتضح أن عملية تعلم المفاهيم تكتسي أهمية كبرى في العملية التعليمية التعلمية، سواء في تقريب الحقائق والمبادئ الأساسية للمتعلمين، أو في فهم أساسيات العلم وتعلمها واستيعابها، كما أنها تساعد واضعي البرامج والمناهج في اختيار محتوى المنهج الدراسي، وفي اختيار مناهج دراسية مناسبة للمتعلمين ومراعية لمراحل نموهم مما يساهم في

زيادة فاعلية التعلم، وتحقيق الأهداف المنشودة من ذلك. وأخيراً فإن مراعاة التدريس بالمفاهيم يساعد المدرس أيضاً على تنظيم جزئيات المادة الدراسية وتفصيلاتها لتسهيل عملية تمريرها للمتعلمي

المبحث الثالث: تدريس وتقييم المفاهيم الشرعية

المطلب الأول موجّهات منهجية لتدريس المفاهيم الشرعية

إذا كانت المفاهيم تختلف حسب طبيعة المادة والمجال الذي تنتمي إليه هذه المفاهيم، فإن طرق تعليمها وتعلمها أيضاً ستختلف باختلاف طبيعة هذه المفاهيم نفسها، وذلك لأن طبيعة المفهوم المادي المحسوس كما هو في العلوم التجريبية يختلف عن طبيعة المفهوم المجرد في العلوم الشرعية بشكل عام، وفي شق الجانب العقدي الغيبي على وجه أخص، كما أن المفاهيم تختلف أيضاً باختلاف درجة صعوبتها وتركيبها وكيفية تمثيلها، وطرق تدريسها، بحيث لا تصلح طريقة تدريس المفهوم المادي المحسوس الذي يمكن الاعتماد في تدريسه على الطريقة الاستكشافية والاستقرائية، بينما طريقة تدريس المفهوم المجرد تعتمد على الاستنتاجية.

واستحضاراً للطبيعة الإستمولوجية للمفاهيم الشرعية المتسمة في أغلبها بالتجريد، وبالتأمل في الكثير من طرق تدريس المفهوم المجرد والتي ترى أن أفضل الطرق لتدريس المفهوم هو طريقة حل المشكلات، وانسجاماً مع البرادغيم السوسيوبنائي في التدريس الذي يري أن التعلم لا يمكن أن يحدث إلا في سياق وضعيات تعليمية، يمكن تحديد أهم الموجّهات الأساسية التي يقوم عليها تدريس المفاهيم الشرعية فيما يلي: (أيت إعزة، 2009، 125)

- **صياغة الإشكال:** من خلال عرض وضعية مشكلة مرتبطة بالمفهوم الغيبي موضوع الدرس، ومستوحاة من واقع المتعلمين، تحفزهم وتدفعهم إلى الانخراط الإيجابي في حل القضايا التي يطرحها.

- **الكشف عن تمثيلات المتعلمين** عن المفهوم الشرعي المدروس، والعمل على تثبيت الصحيح منها وتصويب الخاطئ منها استناداً إلى نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية خلال عملية بناء التعليمات.

- **مساعدة المتعلمين على صياغة فرضيات** حل المشكلة مع الحرص على إبعاد ما يتعارض منها مع الشرع.

- **بناء المفهوم الشرعي بتوظيف النصوص** ودراستها بنائياً من طرف مجموعة القسم لحل قضايا الإشكال وذلك من خلال: (تعريف المفهوم الشرعي- جرد الخصائص المميزة له- إعطاء أمثلة صحيحة عن المفهوم المراد تدريسه - تقديم نماذج من اللامثال وبيان سبب عدم دخولها في المفهوم المدّرس - قياس قدرة المتعلم على التمييز بين قائمة المثل واللامثال وتصنيفها إلى أمثلة تنتمي إلى للمفهوم المقصود وأخرى لا تنتمي إليه.

- **استثمار المفهوم الشرعي** من خلال ربطه بسلوك المتعلم(ة)، وتقييم السلوك الملاحظ في المحيط المدرسي والعائلي في ضوء المفهوم الشرعي المدرس. ومن خلال بناء الاتجاهات والمواقف بتوجيه المتعلم إلى الاشتغال على مجموعة من الأنشطة التقييمية المنفتحة على سلوكيات ووضعية اجتماعية وفرضية غالبية في المحيط. (توظيف الشبكة المفاهيمية للمفهوم الشرعي في تمحيص الفرضيات وتقديم حل للوضعية المشكلة المقدمة في بداية الدرس.

- **رسم خريطة ذهنية** جامعة للمفهوم والمفاهيم المرتبطة به والأمثلة المندرجة تحته من العام إلى الخاص باستعمال اللوح أو المسلاط العاكس؛

- **استخدام هذه الشبكة** المفاهيمية للمفهوم الشرعي موضوع الدرس في تمحيص فرضيات المشكلة وتقديم حل لمشكلة الوضعية المقدمة في أول الدرس، وفي ذلك استثمار للمفهوم في تقييم السلوك الملاحظ في المحيط المدرسي والعائلي في ضوء المفهوم الشرعي المدّرس، وهذا ما يمكن المتعلم من توسيع خباته في الموضوع مما يزيد من تملكه للمفهوم المدرس.

أما الخطوات المنهجية المتبعة لتدريس المفاهيم الشرعية فيقترح الباحثون التربويون عدة خطوات تسير في تسلسل وتتابع حتى تصل بالمتعلم إلى تحديد وتعريف المفهوم الذي يراد تعلمه، ويرى د. ماجد زكي أن تعليم المفهوم يقتضي اتباع ست خطوات وفق الآتي: (الجلاد، د.ت، 351)

- الخطوة الأولى: اختبار معرفة التلاميذ للمفاهيم المنشودة.

يفترض في المتعلم الذي يعرف مفهوماً ما أن يكون قادراً على تحقيق أربعة أمور على الأقل فهو يستطيع :

أولاً: أن يسمي أمثلة على المفهوم عند رؤيته لها، كأن يسمي المسجد عند رؤيته له.

ثانياً: أن يعطي بعض السمات للمفهوم الذي يعرف كأن يقول: التوكل هو الأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله.

ثالثاً: التمييز بين الأمثلة المنتمئة (Examples) وغير المنتمئة أو اللأمثلة (Nonexamples) للمفهوم إذ يفرق بين التوكل الذي يتضمن الأخذ بالأسباب والتوكل الذي لا يأخذ بالأسباب.

رابعاً: أن يحل المشكلات التي تتصل بالمفاهيم التي يعرف فيحد مثلاً الفرق بين سلوك المتوكل والمتوكل. وقد تكون أفضل طريق لاختبار معرفة المتعلم القبلية هي بسؤاله عن مدى انضواء مجموعة من الأمثلة تحت فئة محددة لمفهوم ما، لأن معرفة المفهوم تتضمن القدرة على تصنيف الأشياء أو الأحداث ضمن فئات محددة، وعندما يستطيع المتعلم أن يميز بين الأمثلة واللامثلة فإنه بذلك يظهر معرفته لفئات محددة من الأشياء أو الأحداث وما يمثله من مفاهيم خاصة بها. وهناك ثلاث طرق أخرى لتحديد معرفة المتعلم بالمفاهيم، إلا إن لكل واحدة منها سلبياتها ونقاط ضعفها، وهي:

الأولى: وتتمثل في تسمية المفهوم، إلا أن التجربة أظهرت أن تسمية المفهوم لا تشكل دليلاً على معرفته، فكثير من الناس يستخدمون مفاهيم التوكل، والرزق، والعبادة.. في حديثهم ولكنهم يعجزون عن تمييز ما يمثل هذه المفاهيم وبين ما لا يمثلها.

الثانية: وتتمثل في الحفظ البيضاوي لتعريف المفهوم، وهذه أيضاً لا تُعد اختباراً كافياً على معرفة المفهوم، لأن أي متعلم يستطيع أن يحفظ تعريف المفهوم إذا أعطي الوقت الكافي، ولا شك أن هنالك مستويات مختلفة في المعرفة بين مجرد حفظ التعريف وبين تحديد الأمثلة المناسبة.

الثالثة: وهي تدور حول حل مشكلة معينة تتصل بمفهوم محدد، فلا تعد كذلك اختباراً كافياً لمعرفة المفهوم، لأنه يبدو واضحاً أن المشكلة قد تحل بدون معرفة واحد من مجموع المفاهيم ذات العلاقة.

- الخطوة الثانية: إجراء اختبار قبلي للمتطلبات الأساسية

بعد أن يقوم المعلم باختبار مدى معرفة المتعلمين بالمفهوم المطلوب فإنه يتوصل إلى تحديد أهدافه التدريسية مراعيًا الاعتماد على الأمثلة المنتمئة وغير المنتمئة، وبعد تحديد الهدف ينبغي على المعلم اختبار مدى فهم الطلاب للأفكار والمعلومات اللازمة لتعلم المفهوم المنشود.

ويعد ضمان فهم الطلاب للمتطلبات المعرفية السابقة (Knowledge Prerequisite) من العوامل المهمة لتعلم المفاهيم، فالمفاهيم ترتبط بعضها بشكل هرمي، وفي كثير من الأحيان يعتمد فهم أحدها على فهم ما يبني عليه من مفاهيم ومن معرفة سابقة، وقد يتعذر على المتعلم الإلمام بمفهوم ما نتيجة ورود مفهوم آخر في السياق ذاته. فمثلاً عند تعريف مفهوم (توحيد الألوهية) بأنه الاعتقاد الجازم بأن الله وحده المستحق للعبادة نجد أن هنالك مفاهيم عدة قد وردت ضمن هذا التعريف الاعتقاد والجازم والعبادة، وكلها مفاهيم مفتاحية لا يمكن فهم توحيد الألوهية دون الوقوف على مدلولاتها ومعانيها، وهي تعد من المتطلبات المعرفية الأساسية التي يجب اختبار الطلاب فيها باعتبارها شرطاً رئيساً لتعلم المفهوم المطلوب هنا.

- الخطوة الثالثة: اختيار استراتيجية التعليم المناسبة.

رغم تعدد أنماط واستراتيجيات تدريس المفاهيم إلا أنها تركز على واحدة أو على مزج بين طريقتين أساسيتين هما الطريقة الاستنتاجية والطريقة الاستقرائية.

1- الطريقة الاستنتاجية (Deductive):

تتكون الطريقة الاستنتاجية لتعليم المفاهيم من إعطاء تعريف للمفهوم ثم إتباع ذلك بالأمثلة التفصيلية، فالمعلم يعطي التعريف وبعد ذلك إما أن يطلب أمثلة من الطلاب وإما أن يقوم هو بإعطائها. والطريقة الاستنتاجية هي التي تنقل المتعلم من الكل إلى الجزء، ومن القاعدة العامة إلى الأمثلة الجزئية، وذلك كما في دروس التطبيق على قواعد النحو والصرف، وحل المسائل الحسابية أو الرياضية تطبيقاً على قاعدة معينة. فإذا ما أراد المعلم مثلاً أن يدرس مفهوم التوكل وفق الطريقة الاستنتاجية فإنه يبدأ بإعطاء تعريف محدد لمفهوم التوكل، ثم بعد ذلك يطلب من المتعلمين إيراد بعض الأمثلة عليه أو يقوم هو بعرض هذه الأمثلة. ويلاحظ في هذا المثال أن التفكير قد انبعث من قاعدة عامة إلى أمثلة جزئية خاصة أي أنه انتقل من الكل إلى الجزء.

2- الطريقة الاستقرائية (Inductive):

وفي مقابل الطريقة الاستنتاجية فإن الطريقة الاستقرائية لتعليم المفاهيم تتكون من إعطاء الأمثلة أولاً ثم استقراء أو استخراج المفهوم المستهدف منها، ويتولى المعلم إعطاء الأمثلة ويطلب من المتعلمين محاولة اكتشاف المفهوم المطلوب.

وعملية الاستقراء هي تلك التي يقوم فيها الإنسان بجمع الأدلة والوقائع الحسية ويدرسها بهدف التوصل إلى نتيجة صحيحة أو تعميم يستخدمه مرة أخرى في عملية الاستنتاج من خلال تطبيقه على أمثلة أو حالات أخرى جديدة.

فتدريس مفهوم التوكل وفق هذه الطريقة ينتقل بالمتعلم من الجزء إلى الكل، حيث يعمل المدرس على ضرب الأمثلة ثم يطلب من المتعلمين التوصل إلى تحديد سمات وخصائص المفهوم المطلوب وتعرفه.

- الخطوة الرابعة: اختيار الأمثلة المناسبة على المفاهيم المخططة

تستعمل الأمثلة خلال عملية تعلم المفهوم بشكل كبير، والغرض من إبراز هذه القضية هنا هو بيان كيفية عرض الأمثلة المستخدمة في تدريس المفاهيم، فالأمثلة يجب أن تكون سهلة وواضحة، وهذا يعني تمييز الوسائل التي يمكن التوصل من خلالها لتحديد سمات الأمثلة بسهولة ووضوح.

ولعل من القضايا التي يجدر التنبيه إليها هي عرض مثالين متقابلين، يمثل أولهما مثالاً منتمياً ويمثل الآخر مثالاً غير منتمي، لأن هذا من شأنه أن يسهل على المتعلم تمييز الصفات المعنية، فعند تدريس مفهوم التوكل يضرب المعلم مثالاً منتمياً تلميذ اجتهد في دراسته ثم توكل على الله، ومثالاً غير منتمي تلميذ لم يدرس دروسه وقال توكلت على الله.

- الخطوة الخامسة: توفير فرص التدريب المناسبة

عندما يتمكن المتعلم من التفريق بين الأمثلة المنتمية وغير المنتمية التي عرضت عليه في الخطوة السابقة، والتي تميزت بسهولتها ووضوحها، تأتي هذه الخطوة لتدريب المتعلم على التمييز بين الأمثلة الأكثر تعقيداً، والأمثلة في هذه المرحلة قد تشمل أكثر من سمة وقد لا تكون متقابلة ولا يتم توضيحها باستخدام أي من الوسائل الإيضاحية.

ففي تدريس مفهوم القضاء والقدر قد يعرض المعلم لموقف من يعتقد بأن الإنسان مسير لا مخير"، وموقف من يرى إن الإنسان مخير لا مسير، وموقف من يرى أن الإنسان مسير ومخير.

- الخطوة السادسة: اختبار مدى تعلم المفاهيم المنشودة

بعد تمكن المتعلمين التام من التمييز والتفريق بين الأمثلة التي أعطيت لهم في خطوة التدريب تأتي المرحلة الأخيرة التي تقوم من خلالها مدى تعلم المفاهيم المنشودة، ويتم اختبارهم عن طريق تزويدهم بمجموعة من الأمثلة الجديدة التي يطلب إليهم التفريق بينها وفق ما تعلموه سابقاً، مؤكداً أن قدرة المتعلم على التفريق بين الأمثلة المنتمية وغير المنتمية هي أفضل مؤشر على درجة إتقانه للمفهوم الذي تعلمه. (الجلاد، د.ت، 351)

- الخطوة السابعة: استخدام الخرائط المفاهيمية في تدريس المفاهيم الشرعية.

تمثل الخرائط المفاهيمية العلاقات ذات المعنى بين المفاهيم التي تكون على هيئة قضايا أو مقترحات، والقضايا عبارة عن عناوين أو أسماء مفهوميين أو أكثر يتم الربط بينها بكلمات في وحدة دلالية، فهي عبارة عن مفهوميين ارتبطا بكلمة رابط ليكونا قضية أو مقترحاً.

كما تعد الخرائط المفاهيمية من أهم التقنيات التربوية الحديثة، التي تجعل من المتعلم محور العملية التعليمية، وتساعد على تحقيق التعلم ذي المعنى، وذلك عندما تسمح له بالوقوف على مدى التقاطع الحاصل بين مفهوم معين، وبين عدة مفاهيم أخرى من جهة، وإبراز مدى تنوع السبل أو الطرائق التي يمكن أن تؤدي إلى بناء المفهوم من جهة أخرى، وبالتالي إلى تعلمه في سياق الوضعيات التعليمية التعلمية.

فالخرائط المفاهيمية بهذا المعنى يمكن توظيفها في التدريس بعرض المفاهيم في تسلسلها، وإبراز العلاقات بينها، وتوظيفها في التقويم عبر السؤال عن تدرج هذه المفاهيم وتسلسلها، والرابط بينها.

المطلب الثاني: طرق تقويم المفاهيم الشرعية

هناك طرق متعددة لقياس مدى تمكن المتعلمين من اكتساب المفاهيم الشرعية، غير أن الأستاذ أو المدرس مطالب بضبط هذه الطرق ومحاولة تجديدها والإبداع في طرق أخرى تأخذ بعين الاعتبار طبيعة المفهوم، وسن المتعلم، والبيئة المحيطة به، والاطلاع على أسس ومعايير التقويم الصادرة عن مذكرات التقويم التربوي من أجل إكساب المتعلمين المفاهيم الشرعية وتحديد خصائصها وتصنيفها والمقارنة بينها، وكذا الغاية من التقويم وفق مقاربات التدريس ببيداغوجية الكفايات التي تعتمد على التقويم وفق وضعيات دالة ومركبة.

ويمكن اتباع الخطوات الآتية لتقويم المفهوم الشرعي:

- قياس قدرة المتعلمين على تعريف المفهوم الشرعي وتحديد خصائصه بلغته الخاصة.
 - قياس مدى قدرة المتعلمين على اكتشاف المفهوم الشرعي من خلال:
 - استخدام المفهوم في مواقف التمييز والتصنيف والتعميم؛
 - الاستدلال الشرعي المناسب على المفهوم الشرعي المراد تقويمه؛
 - تطبيق المفهوم الشرعي في مواقف مختلفة ووضعيات جديدة؛
 - استثمار المفهوم الشرعي في تفسير ما يراه ويشاهده في البيئة المحيطة به وفق ما تعلمه من المفاهيم الشرعي.
 - استخدام هذا المفهوم في حل وضعية مشكلة يتطلب منه إيجاد حل لها.
 - قياس مدى قدرة المتعلمين على بناء مفاهيم مشابهة للمفهوم الأصلي.
- ويمكن القول أن التلميذ قد تعلم المفهوم إذا استطاع أن :
- 1- يقوم بالتعبير لفظياً عن تعريف المفهوم، وهذا يتضمن معرفته بمضمون المفهوم وأبعاده وما يدل عليه، بمعنى أن يكون مدرّكاً للقاعدة التي يستند إليها المفهوم.
 - 2- يتعرف على الأمثلة الموجبة والسالبة للمفهوم، أي تلك التي تندرج تحت المفهوم وتنتمي إليه، وتلك التي لا تندرج تحته ولا تنتمي إليه وتصنيفها.
 - 3- يطبق المفهوم الذي سبق تعلمه في مواقف جديدة .
 - 4- يدرك العلاقة الهرمية بين المفهوم وغيره من المفاهيم الفرعية التي تندرج تحته أو المفاهيم الرئيسية التي ينتمي إليها، فالمفاهيم الرئيسية تتضمن مفاهيم أخرى فرعية، وهذه المفاهيم الفرعية قد لا تقتصر على تكوين أبعاد مفهوم واحد حاكم أو رئيسي ولكنها قد تدخل في علاقات أخرى، وعلى مستويات مختلفة في تشكيل أبعاد مفاهيم رئيسة أخرى.

خاتمة:

مما سبق يتضح أن المفهوم الشرعي يطرح عدة إشكالات معرفية وتصورية وديداكتيكية، وأن مقارنته وبناءه يقتضيان منهجية معرفية وديداكتيكية خاصة، باعتباره يختلف عن باقي المفاهيم من حيث طبيعته وخصائصه وطرق بنائه، كما أن الاشتغال بمقاربة الكفايات يقتضي جعل المتعلم يبني هذه المفاهيم بمساعدة أستاذه وتوجيهاته، بدل تقديمها جاهزة له، كما أسجل في هذه الخاتمة ضرورة تكوين المدرسات والمدرسين في كيفية الاشتغال على المفاهيم عامة والشرعية بشكل خاص، مع وضع توجيهات تربوية رسمية يشرف عليها التربيون المتخصصون في المجال التربوي والشرعي لوضع تصور يكون بمثابة خارطة الطريق للمدرسين لتزليل مقتضيات المنهاج والوثائق الرسمية في الممارسة الصفية. بدل الاعتماد في تدريس تلك المفاهيم على الحفظ الخارجي فقط الذي لا يحرك الفكر والوجدان، ولا يوقظ الفطرة والفؤاد، بل يجعل التعلّات الشرعية شاقة عسيرة بعيدة كل البعد عن حياة المتعلمين، وحاجاتهم الدينية والشرعية.

التوصيات:

في ختام هذه الدراسة سأحاول أن أقدم بعض التوصيات المقترحات لعلها تسهم في تجاوز الإشكالات المرصودة، أو تخفف من حدتها:

- الاهتمام بالتكوين الأساس والمستمر للمدرسين ووضع برنامج دقيق لإعادة تأهيلهم وتأطيره لكسب مهارات التدريس بالمفهوم مع وضع شبكة مفاهيمية تكون بمثابة خارطة الطريق للمدرس والمتعلم، توجه عملهما وتحدد مجال اشتغالهما، وتبين لهما المسالك والممرات، هذه الشبكة المفاهيمية تقوم على التكامل بين المقاربتين المنهجية والديداكتيكية.

- ضرورة التشاور والأخذ برأي كل الفاعلين والمشتغلين بالشأن التربوي؛ لأن البحث الجيد النابع من الفضاء التربوي الحقيقي هو الذي سيساعد في التشخيص الجيد للداء، وبالتالي إيجاد الحلول الناجعة التي سترتقي بالكتب المدرسية، وستجعل الأساتذة يحرصون على ترجمة التوجيهات التربوية إلى ممارسات ديداكتيكية.

- تشجيع الدراسات التربوية الجادة والهادفة لتطوير الدراسات الإسلامية والمفاهيم الشرعية المتعلقة بها، والرقى بها نحو منهجية تدريسية وتقويمية هادفة، تنفذ إلى الواقع التربوي لتشخص الداء وتقترح الدواء.

وأخيراً: أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما علمنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع:

- ابن منظور. (1970). لسان العرب، دار صادر، لبنان.
- أحمد جودت سعادة. (1988). تدريس مفاهيم اللغة العربية والرياضيات والعلوم والتربية الاجتماعية، دار الجيل، بيروت.
- آيت إعزة أحمد. (2009). مشكلات تدريس التربية الإسلامية بالسلك الابتدائي - معالجة واقتراحات - ط1، منشورات .TOP EDITION.
- بطرس حافظ بطرس. (2004). تنمية المفاهيم والمهارات العلمية لأطفال ما قبل المدرسة، دار المسيرة، عمان، ط:1.
- الجلاد ماجد زكي، تدريس التربية الإسلامية الأسس النظرية والأساليب العملية، ط1، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان.
- الحبيب كرومي وإبراهيم بن البو. (2014). اختلاف طبيعة مفاهيم المعرفة الشرعية وأثره الديدانكتيكي في تدريس مادة التربية الإسلامية"، بحث لنيل دبلوم مفتش تربوي للتعليم الثانوي التأهيلي، تخصص التربية الإسلامية، بمركز تكوين مفتشي التعليم بالرباط.
- رمضان مسعد بدوي. (2016). تنمية المفاهيم والمهارات الرياضية لأطفال ما قبل المدرسة، دار الفكر للنشر والتوزيع، ط 6.
- سحر محمود عبد الفتاح سمور. (2011). أثر توظيف الصفوف الافتراضية في اكتساب مفاهيم الفقه الاسلامي (بحث تربوي). الجامعة الإسلامية، غزة.
- سلوى أبو بكر باوزير ونادية عبد العزيز قريان. (2011). تنمية المفاهيم التاريخية والجغرافية لطفل الروضة، ط.1، دار المسيرة، الأردن.
- عبد اللطيف الفارابي وآخرون. (1994). معجم علوم التربية، مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ط.1، دار الخطابي للطباعة والنشر، المغرب.
- عبد الله جراغ وصالح جاسم. (1986). دراسة لتحديد المفاهيم العلمية للعلوم ومدى مناسبتها لمراحل التعليم العام بالكويت، المجلة التربوية، المجلد 3، العدد 11، دجنبر.
- مجموعة من المؤلفين. (2008). بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1 دار السلام.
- المرسي وجيه أبو لين. (2004). التربية الإسلامية وتنمية المفاهيم الدينية"، الموقع التربوي:
- المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط.4.
- Consulté le 05/02/2017 <http://kenanaonline.com/users/wageehelmorssi/posts> -
<https://ar.islamway.net>